

هذا هو المعنى الذي يؤمن به معظم المسلمين خاصة أن الآيتين ورد بهما كلمتا "أَخْلُقُ" و"تَخْلُقُ" واختلط الأمر على كثير من الناس وذهبوا إلى هذا المعنى الذي يقول بتحويل الطين إلى طير ذي دم وريش ولحم ويطير بالسماء بإذن الله لمجرد نفخ السيد المسيح عليه السلام فيه!! فهل هذا صحيح؟

ولفهم الموضوع على حقيقته علينا أن نبحث في القرآن الكريم كيف استخدم الله سبحانه وتعالى كلمة ﴿خَلَقَ﴾ ومشتقاتها في كتابه الكريم. فنجد أنه عز وجل في سورة غافر قال: ﴿لَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ (غافر: ٥٨). نفهم من هذه الآية أن كلمة ﴿خَلَقَ﴾ الأولى تعني الخلق الإلهي المعروف، وهو الإيجاد من العدم كإيجاد الحياة والروح، أو خلق الكون، أو كخلق السماوات والأرض

حقيقة خلق

عيسى عليه السلام للطير

بقلم: غافر محمد غافر

كاتب من الأدن

يجعل من الطين طيراً بمجرد أن ينفخ فيه كما يرى بعض المفسرين كابن كثير (رحمه الله)، حيث يقول في تفسير الآية ٥٠ من سورة آل عمران ما نصه: "... وكذلك كان يفعل، يُصوّر من الطين شكل طير ثم ينفخ فيه فيطير عياناً بإذن الله عز وجل...". ويقول أيضاً في تفسير الآية من سورة المائدة لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، "أن تُصوِّره ثم تُشكِّله على هيئة الطائر بإذني لك في ذلك، فتكون طيراً ذا روح تطير بإذن الله".

يقول الله عز وجل في كتابه العزيز على لسان عيسى ابن مريم عليه السلام:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٥٠)

ويقول عز وجل في موضع آخر من القرآن الكريم:

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾ (المائدة: ١١١)

فما هي حقيقة خلق الطير على يد عيسى عليه السلام بعد أن ينفخ فيه؟ وهل هو خلق حقيقي مادي بأنه كان

فهل يجوز أن يقول الله عز وجل بأنه من المستحيل على أي بشر "نبي أو غير نبي" خلق ذبابة، ويقول الآخرون بأن عيسى عليه السلام كان يخلق طيراً هو أكبر بمئات المرات من الذباب؟

الأرض، طيراً كالذي خلقه الله سبحانه وتعالى!!.. لأنه لو سلمنا بأن المسيح عليه السلام قام بهذا الخلق وبهذه الطريقة "بإذن الله" لوجب علينا أن نسلّم بعدم مساواة المسيح عليه السلام بباقي الأنبياء، لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ (النحل: ١٨). وهذا قد يصل إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى - معاذ الله. وهناك آيات أخرى كثيرة في موضوع الخلق تبين العجز الكامل للمخلوقات عن القيام بالخلق المتشابه للخلق الإلهي حيث يقول عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٤)، ويقول

كذلك: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (النحل: ٢١). فالله سبحانه وتعالى يقول صراحة بعدم إمكانية البشر، وخاصة الذين دُعا من دون الله كالمسيح عليه السلام أن يخلقوا أي شيء ولو كان صغيراً جداً كالذباب. فهل يجوز أن يقول الله عز وجل بأنه من المستحيل على أي بشر "نبي أو غير نبي" خلق ذبابة، ويقول الآخرون بأن عيسى عليه السلام كان يخلق طيراً أكبر بمئات المرات من الذباب؟ ونقر ونسلم بهذه الحالة بأن عيسى عليه السلام ليس كغيره من البشر والأنبياء، بل ونُعطي المبرر للنصارى بإضفاء

يكون لكم المبرر لعبادتهم واتخاذهم آلهة من دوني. إنه لمن المستحيل أن يقوم مخلوق بخلق يشابه الخلق الإلهي حيث يُبين سبحانه وتعالى العجز الكامل للمخلوقات على القيام بهذا، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (الأحقاف: ٥) وهذا تحدّ إلهي واضح لكل مَنْ دُعي من دون الله ولمن اتخذوهم آلهة، أن يُبينوا ويُظهروا ماذا خلقوا من الأرض، مبيّناً عجزهم الكامل عن خلق أي شيء من الأرض حسب نص الآية السابقة، وبما أن المسيح عليه السلام أكثر مَنْ دُعي من دون الله بحسب معتقدات النصارى، وكذلك فإن الطين هو مادة من الأرض كما هو معلوم، فأصبح واضحاً بحسب الآية السابقة أن المسيح أعجز من أن يخلق من الطين الذي هو في

كقوله تعالى ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (الطور: ٣٧) بينما نفهم من كلمة ﴿خلق﴾ الثانية معنى آخر وهو الخلق البشري، خلق الناس الذي لا يُقَارَن بالخلق الإلهي بشكل من الأشكال، ولا يكون من نوعه إيجاد الحياة مثلاً لأنه سبحانه وتعالى أحسن الخالقين وهو الذي يُوجد الحياة من العدم ويبعث الروح وليس أحد مخلوقاته. بل إن الله سبحانه وتعالى يدمر من يقول بإمكانية الخلق المشابه للخلق الإلهي حيث يقول: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقِ عَلَيْهِمْ﴾ (الرعد: ١٧). إن الله سبحانه وتعالى يفنّد ويستنكر على من اتخذوا لله شركاء وعبدوهم من دونه، ويقول لهم مستنكراً: هل هؤلاء الذين عبدتموهم واتخذتموهم شركاء لي خلقوا كخلقي، فتشابه عليكم الأمر حتى

الدين والشريعة التي جاءهم بها أنبياءهم. وهي تشبه حال الأمة الإسلامية في زمننا الحاضر حيث تفرقت وتكالتت عليها الأمم. وتراجع المستوى الديني "الروحي" في الأمة إلى أدنى مستوى حتى وصلوا إلى الحالة الطينية كيني إسرائيل حيث بُعث فيهم مسيحيهم عيسى عليه السلام كما بُعث في المسلمين مسيحيهم أحمد عليه السلام للنهوض بهم روحياً بأن ينفخ فيهم تعاليم الإسلام الحقيقية الصحيحة والتي سوف تسمو وتعلو بهم في الملكوت كما يسمو ويعلو الطير في السماء. وهذه الحالة هي حالة الطيور التي خلقها المسيح عليه السلام في بني إسرائيل بإذن الله وتأييده سبحانه وتعالى.. وهذا المعنى يتبين من كلمة "كهية" حيث إنها عبارة عن حرف تشبيه وهو حرف: الكاف" وكلمة "هيئة". فالكاف تعني "مثل"، وهيئة تعني

ولا يستطيعون استرجاع ما أخذه منهم. ومعروف أن المسيح عليه السلام أكثر من دُعي من دون الله، فهو إذن مخلوق ولا يخلق شيئاً من الأرض، وهو ميت غير حي ولا يدري أيا ن يُبعث؟ إذا أصبح واضحاً بأنه من المستحيل أن يخلق أحد من مخلوقات الله شيئاً من الأرض كالمخلوق الإلهي. فما هو إذا المعنى الصحيح لخلق الطير على يد المسيح عليه السلام بإذن الله؟ والجواب هو أننا نعلم بأن السيد المسيح عليه السلام بُعث إلى بني إسرائيل الذين وصف الله قلوبهم بأنها كالحجارة أو أشد قسوة، لانحرافهم وضلالهم وانحطاطهم الروحي، أي أنهم أخذوا إلى الأرض وهم يمثلون الحالة الطينية التي هي أدنى الحالات الروحية أي "الموت الروحي". وكأنهم عادوا إلى نقطة البداية. وهي حال جميع الأمم والشعوب عندما يتعدون عن روح

الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿ (الحج: ٧٤) وهذا مثل ضربه الله، فإن الذباب أصغر المخلوقات، وكل من يُدعى من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستعيدوه منه. فإذا تبين أنهم لا يخلقون ذباباً ولا يقدر على انتزاع ما يسلبهم، فهم عن خلق غيره وعن مغالبتة أعجز وأعجز." وعلى هذا فإننا لو أمعنا النظر في الآيات السابقة وما قاله ابن تيمية -رحمه الله- لفهمنا منها ما يلي: ١. عدم مساواة الذي يخلق بالذي يُخلق وذلك لأن الذين دُعا من دون الله لا يخلقون شيئاً بل هم يُخلقون. ٢. إن الذين دُعا من دون الله أموات -غير أحياء- ولا يدرون أيا ن يُبعثون. عجز أولئك الذين دُعا من دون الله أن يخلقوا أصغر المخلوقات كالذباب مثلاً

الألوهية على شخصه وأنه يخلق في الأرض، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. هذا مع العلم أن النصراري الذين اتخذوا المسيح عليه السلام إلهاً لا يقولون بأنه خلق من الطين طيراً. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الله" في كتابه مقدمة التفسير الجزء ٧ ص ١١ ما نصه: "﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿ (النحل: ١٨- ٢١) فهو سبحانه الخالق العليم الحق الذي لا يموت، ومن سواه لا يخلق شيئاً كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ

"حال"، فيصبح المعنى: "مثل حال الطير" أي أن عيسى عليه السلام يخلق (أي يُوجد) لكم من الطين (أي من الحالة الطينية) كهيئة الطير أي (مثل حال الطير).. وحال الطير أنه يكون هابطاً على الأرض في البداية ثم يبدأ بالطيران والارتفاع التدريجي ويعلو شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى أعالي الجو. وهناك يُحلق في السماء عالياً مكتشفاً وعارفاً ما لم يكن يعرفه وهو على الأرض. وهذا ما حصل مع جميع الأنبياء بما فيهم عيسى عليه السلام حين نفخ في قومه تعاليم الله تعالى وزكاهم، فبدأوا بالرقى الروحي تدريجياً إلى أن وصلوا إلى الدرجات الروحية العالية في سماء الملكوت. وهذه هي الحياة الحقيقية. ومثل هذا ما قاله الإمام الغزالي (رحمه الله) في كتابه "إحياء علوم الدين ج ٤ ص ٩٢: "فاعلم أن تمام التحقيق في هذا يُستمد

بالتعاليم الإسلامية الصحيحة وبروح القرآن الطيبة ينفخ في أمة محمد عليه السلام بإذن الله فيعيد لهم الروح، ويخلق من حال المسلمين الطينية طيوراً تُحلق في ملكوت الله بإذن الله.

في تيار بحرٍ عظيم من علوم المكاشفات، وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات بمبادئها، ونحن الآن نعبّر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها يفهمها من عرف منطق الطير، ويجحدها من عجز عن الإيضاح في السير فضلاً عن أن يجول في جو الملكوت جولان الطير. "هذا هو المعنى المراد من خلق الطير، وهو خلق (أي إيجاد) الحالة الإيمانية والروحانية التي قام بها عيسى عليه السلام في قومه، شأنه شأن جميع الأنبياء. وهي حالة ضد حالة "الموت الروحي" والكفر التي تكون سائدة في زمن الأنبياء والرسول كما يقول الله عز وجل في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ (العنكبوت: ١٨) أي أنكم أنتم الذين تخلقون الكفر والشك الذي هو موت روحي وتحجر قلبي، كما وصف الله عز وجل بذلك قلوب بني إسرائيل. وهنا يؤكد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن المشركين يخلقون إفكاً، ولا يعني أن الإفك شيء مادي تم خلقه وأصبح حياً، وإنما هو حالة الكفر.. "الموت الروحي" والخلود إلى الأرض، وهذا ما جاء لبيدله المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في قومه بخلق حالة إيمانية ونفخ الروح فيهم ليحييهم ويسموهم عالياً في ملكوت الله خالقاً في حالتهم الطينية طيوراً روحانية، وهذا أيضاً ما فعله أخوه المسيح الموعود عليه السلام في أمة محمد المصطفى عليه السلام بعد أن انحرفوا وماتوا روحياً وتكالت عليهم الأمم. فهو بالتعاليم الإسلامية الصحيحة وبروح القرآن الطيبة ينفخ في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بإذن الله فيعيد لهم الروح، ويخلق من حال المسلمين الطينية طيوراً تُحلق في ملكوت الله بإذن الله.

فهي دعوة عامة للجميع باتباع منادي السماء المسيح المحمدي، إمام هذا الزمان للرقى بالعالم أجمع، بعد أن ينفخ فيهم بإذن الله روح الإسلام والإيمان بعد أن تناوله من السماء. ربنا إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرنا عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. آمين